٣

الطريق السوى

كثيرا ما يتساءل الآباء عن السن التى ينبغى عندها بدء التربية الجنسية ، ويعتقدون أن هذه التربية لا تبدأ الا عندما يأخذ الطفل فى القاء الأسئلة . والواقع ان التربية الجنسية تبدأ منذ الطفولة المبكرة ، وجانب كبير منها ليس سوى صورة من التربية غير المباشرة التى تترتب على الطريقة التى يحب بها الآباء أطفالهم ويقربونهم منهم ويحاولون اشباع رغباتهم .

ولد أو بنت

ان جنس الطفل أمر له أهميته ، فنحن دائما نتساءل حتى قبل الوضع هل الوليد سيكون ذكرا أم أنثى . وبعض الناس يفضلون الاناث ، والبعض يؤثرون أن يكون لهم طفل من كل من الجنسين ، بينما يفضل آخرون أن تجىء ذريتهم جميعها من البنين حتى يوفروا على أنفسهم متاعب البحث لهم عن أزواج عندما يكبرون . وقد يرى نفر من الناس أن

انجاب بنت ثانية يوفر عليهم شراء ملابس جديدة اذ يمكن الباسها ملابس أختها القديمة .

كذلك تختلف معاملتنا للمولود وفقا لجنسه ، اذ نلبس الذكور منهم ملابس يغلب عليها اللون الأزرق (*) ونسميهم بأسماء تدل على القوة مثل « جاسر » و « حسام » ، ويشير الآباء اليهم فى زهو قائلين بأنهم يبدون صلاب العود حقا . أما الاناث فيغلب على ملابسهن اللون « البمبة » (*) وتطلق عليهن أسماء رقيقة تنبىء عن الحسن مثل « ابتسام » و « اشراق » . ومثل هذه الأمور قد لا يترتب عليها أى فرق بالنسبة للولد أو البنت فى بادىء الأمر . ولكن لا يمضى وقت قصير — وقبل أن يتنبه الأبوان لذلك — حتى يشعر الأطفال أنفسهم بأن هناك فرقا بين الولد والبنت ، كما يتعلمون فيما بعد أن الأولاد يقصون شعرهم ويلبسون « بنطلونات » بدلا من « الفساتين » ، وأن أنسب اللعب لهم هى الجنود والقطارات لا الدببة والعرائس . كما تتعلم البنات أن هناك أمورا معينة يتوقع منهن مراعاتها بوصفهن اناثا .

(*) الألوان المذكورة للملابس من العادات المنتشرة فى البلاد الغربية .

والتربية الجنسية تساعد الطفل عن طريق التعليم والقدوة على فهم معنى الجنس الذى ينتمى اليه ، والشعور بالفخر لكونه بنتا أو ولدا . ولهذا الأمر أهمية كبرى فى الاشباع الذى يجده الطفل عندما يحاول التكيف للمواقف الجنسية فيما بعـد .

ومن الآباء من يبالغ فى اقامة الفروق بين سلوك البنت والولد ويأخذون الأمر مأخذ الجد الصارم ، فيضعون حدودا شديدة بين نشاط الذكر ونشاط الأنثى ، ويعلمون أطفالهم التزام هذه الحدود . « فالبنات لا يجوز لهن أن يتكلمن بصوت مرتفع » ، و « الأولاد لا يجوز لهم أن يلعبوا بالدمى » ومثل هذا التعليم يجعل من المتعذر على الصغار أن يحيوا كأفراد صالحين ينتمون الى أحد الجنسين ، فيفكرون على النحو الآتى : « اذا بكيت فأنا لست ولدا كبيرا » ، أو « اذا اتسخت ملابسى وجسمى فلست بنتا مهذبة » .

واذا كان فى احدى الأسر ولدان أو ثلاثة ، أو كانت الأم تكره الذكور ، أو لم يكن الأب حسن التكيف من الناحية الجنسية ، فان انجاب وليد ذكر قد يسبب خيبة أمل . بينما قد لا يلقى انجاب أنثى أى ترحيب فى أسرة أخـرى لأسباب مماثلة أو لغير ذلك من الأسباب .

وقد يحال بين مثل هؤلاء الأطفال وبين قيامهم بالدور الطبيعى الذى يؤهلهم له جنسهم ، فقد تلقى البنات تشجيعا على أن يرتدين ملابس البنين وأن يلعبن مثلهم ويسلكن مسلكهم . كما قد يترك شعر البنين مرسلا ويلبسون أردية البنات ويمنعون من اللعب مع غيرهم من الصبية . ومثل هؤلاء الأطفال يدركون أن فى وجودهم ما يضايق آباءهم . وقد ينمو لديهم شعور بالضيق وضعف الثقة بالنفس عند وجودهم مع أفراد من نفس جنسهم ، كما أن تكيفهم لأفراد الجنس الآخر يغدو عسيرا أيضا .

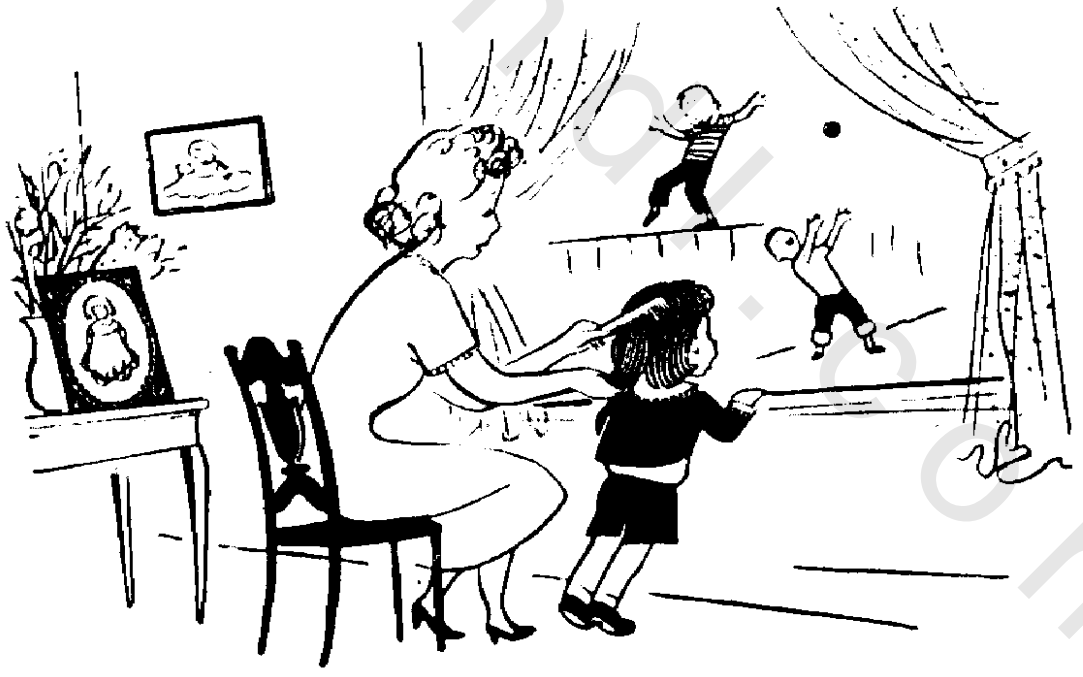

المشكلات تنتظر الطفل الذى لا تتاح له فرصة القيام بالدور الطبيعى الذى يسمح به جنسه

وتبدأ التربيـــة الجنسية بنـــوع الشعور الذى يحسه الأبوان نحو الوليد الجـــديد . ومعظم الآباء لا تصادفهم صعوبات من هذه الناحية اذ يستطيعون تقبل الوليد الوافد وتقديره سواء أكان ذكرا أم أنثى . ومما يسبب للطفـــل السعادة أن يسعد الأبوان بقدومه بغض النظر عن جنسه ، أو لمجرد أن يتقبلا مولده على أنه أمر مسلم به . وينبغى على الأبوين أن يعاونا الطفل على أن يتعلم كيف يسلك مسلك أفراد جنسه ، ولكن لا ينبغى لهما أن يسرفا فى ذلك فيحاولان أن يجعلا منه ولدا أو بنتا أسمى من غيره من الأولاد أو البنات اذ لابد أن تتاح الفرصة لكل طفل لتنمية أساوب ذكورته أو أنوثته فى بطء وهوادة بطريقته الخاصة أثنـــاء تقدمه فى النمو .

فضول الأطفال

ويعتبر الاتجاه الذى يكونه الطفل نحو جسمه ووظائفه من العناصر الهامة فى التربية الجنسية المبكرة . فأعضاء جسم الطفل تسترعى انتباهه منذ وقت مبكر ، فنراه يعجب بحركات يديه ورجليه ويمص أصابع يديه ويراقب أصابع قدميه . انه يرى جسمه شيئا باعثا على العجب ، ولذلك يظل مدة بعد

الولادة مهتمـــا اهتماما بالغا بالاســـتزادة من معرفته بهذا الجســـم .

ولا يمضى وقت طويل حتى تلفت الأعضـــاء التناسلية انتباه الطفل فيبدأ فى استكشافها بنفس الاهتمام الذى كان موجها الى أصابع يديه وقدميه وســـائر أجزاء جسمه . والأعضاء التناسلية حساسة بوجه خاص ، مثلها فى ذلك مثل الفم ، فكما يحس الطفل لذة فى المص والمضغ والعض ، كذلك يجد لذة فى لمس أعضائه التناسلية أو تحريكها .

ويعتبر عبث الطفل بأعضائه التناسلية مرحلة طبيعية من مراحل النمو التى يمر بها سائر الأطفال ، وهو شبيه فى ذلك بمص الابهام والمناغاة . وهذه المرحلة تفسح المجال بدورها لمراحل أكثر نضجا .

ومع ذلك فان بعض الآباء يبينون للأطفال — سواء عن طريق ما يبدونه من اتجاهات أو ما يأتونه من فعال — أن أعضاء التناسل تختلف عن باقى أعضاء الجسم . فاذا لمس الطفل أعضاؤه التناسلية عبست أمه فى وجهه وعنفته وشدت يده بعيدا ، أو حاولت أن تحول انتباهه الى أمر آخر . ومثل هذا الاضطراب أو الاستنكار من ناحية الأبوين يولد فى

نفس الطفل بمرور الوقت شعورا بأن هذا الجزء من الجسم ، لسبب ما ، مختلف عن غيره ، وأن لمسه عمل غير مستحب . وهذا قد يجعل التكيف الجنسى عسيرا على الطفل فيما بعد . ومن ناحية أخرى نجد أن العادة السرية ، كالاسراف فى مص الأصابع ، قد تعنى أن الطفل لا يظفر بقدر كاف من الاشباع الانفعالى ، أى لا ينال نصيبا كافيا من الحب والحنان .

والاهتمام بالاجزاء التناسلية من الجسم يظهر ويختفى فى مختلف مراحل حياة الطفل . ومن المهم أن يتيح الآباء لأطفالهم فى مستهل حياتهم اجتياز هذه المرحلة من غير تهويل فيها ، ومن غير أن يجعلوا الطفل يشعر أن الانتباه الى الأعضاء التناسلية أمر مكروه أو محرم .

عادات النظافة

وكما يهتم الطفل بجسمه يهتم أيضا بفضلاته ، فالأطفال يحبون قضاء وقت طويل فى الحمام ، وقد يبتهجون لمرأى فضلاتهم وملمسها .

والأم التى تتباهى بأن ابنتها قد دربت تدريبا تاما على عادات النظافة وهى لم تتجاوز الشهر الثانى عشر من عمرها ، هذه الأم لا تدرك الحقيقة الواقعة وهى أنها هى نفسها التى

تدربت ، فهى التى كانت تدفع بابنتها فى لهفة وعجلة الى الحمام فى شتى الأوقات كلما ارتابت فى أن ابنتها فى حاجة الى ذلك . أما الصغيرة نفسها فلم يكن فى وسعها من الناحية الجسمية أن تتحكم فى عمليات التخلص من فضلاتها الا بعد مرور عدة شـــهور وذلك عندما ينضج جهازها العصبى المركزى .

وحتى لو كان الطفل قادرا على التحكم فى هذه العمليات فانه قد يتمرد على التدريب الصارم اذ لا يستطيع فهم سبب اهتمام أمه ويثور لتدخلها فى شئونه . ويتجلى ذلك فى رفضه التبرز عند أخذه الى الحمام ما دام غير مستعد لذلك . وهذا قد يعنى فى بعض الأحيان مجرد بلل بسيط فى ملابسه بعد نصف ساعة يقضيها فى دورة المياه . وهكذا يحتمل أن يصبح التنظيم الصارم لعادات النظافة بغيضا فى نظر الطفل فيلجأ الى رفض الاستجابة لرغبة أمه كلما استعجلته . ان أهداف الآباء تختلف عن أهداف أبنائهم ، وعلى قدر حسن معالجة الأبوين لموقف من المواقف يكون حســـن تكيف الطفـــل الانفعالى بوجه عام .

فاذا حاول الأبوان تدريب طفلهما على مراعاة مواعيـــد خاصة للذهاب الى دورة المياه قبل أن يكون قادرا على ذلك

من الناحية الجسمية ، واذا كان هذا التدريب بالغ الصرامة بحيث يعاقب الطفل كلما عصى أمر أبويه ، واذا أفضى فشل الطفل فى هذه الناحية الى نعته بالقذارة والرداءة ، فان الطفل قد ينتابه الاضطراب الذى تدور مشاكله حول أعضاء الاخراج ووظائفها .

وأعضاء الاخراج وثيقة الاتصال بالأعضاء التناسلية ، فاذا غدت عمليات الاخراج كريهة أو قذرة فان هذه الأعضاء وسائر المنطقة المحيطة بها تصبح باعثة على الاشمئزاز فى نظر الطفل . ومثل هذه المشاعر المبكرة قد تعوق الطفل عن التفكير فى الأمور الجنسية ، وعن تقبلها ، على أنها أمر صحى طبيعى مفيد .

واذا كان التدريب شديد القسوة فقد يصاب الطفل باضطرابات عصبية وهضمية ، كما قد تتكون لديه اتجاهات غير مستحبة نحو السلطة واللذة .

ولكن التدريب فى هذه النواحى يعتبر تربية جنسية اذا كان وئيدا رفيقا طبيعيا موسوما بالعطف . وهو عندئذ يعين الطفل على تكوين اتجاهات سليمة نحو جسمه ووظائفه .

الشعور بالأمن والانتماء

ان أسلوب سلوك الأفراد بعد تجاوزهم لمرحلة الطفولة يتأثر الى حد كبير بما مر بهم من خبرات وما تلقوه من تدريب وكلما تعمقنا فى دراسة الطبيعة البشرية ازدادت هذه الحقيقة وضوحا . فالسنوات الأولى من حياة الطفل ، ومعيشته المنزلية وما ظفر به من عناية وتدريب ، والعلاقات التى نشأت بينه وبين أبويه ، كل هذه الأمور تكون ذات تأثير مباشر على فعاله واتجاهاته عندما يكبر ، وعلى أسلوب سلوكه ونوع مساهمته فى المجتمع الذى يعيش فيه بوصفه مواطنا ، كما تؤثر على نجاحه فى حياته الزوجية .

فالطفل الذى يحبه أبواه ، ويعنيان به ، والطفل الذى يلقى من أبويه حنانا وتشجيعا على النمو والاستقلال ، والطفل الذى يشب فى بيت يحس فيه بالأمن والطمأنينة والسعادة ، **كل أولئك يظفرون بمبادىء التربية الجنسية الحسنة ، وتتاح لهم بداية طيبة نحو السلوك الجنسى الناضج الموسوم بتقدير المسئولية .**

ان البيوت السعيدة تنجب أشخاصا يكونون بدورهم بيوتا سعيدة . فاذا كان الزوج والزوجة يعيشان معا حياة

قوامها المودة والاخـلاص والاحترام فانهما بذلك ينشئان أبناء يستطيعون أن يحيوا حياة زوجية ناجحة . لأن الآباء عندما يحبون أبناءهم فانهم يمنحونهم القدرة على الحب اذ ان شعور الأطفال بأنهم قد أحبوا آباءهم وان آباءهم قد أحبوهم يجعلهم لا يحسون الحاجة الى التجريب أو الى اختبار أنفسهم كما يفعل غيرهم من الأطفال الذين افتقدوا حب آبائهم لهم وحبهم لآبائهم . ولذلك نراهم يمضون قدما فى طريق معالجة دوافعهم الجنسية معالجة حسنة حكيمة .

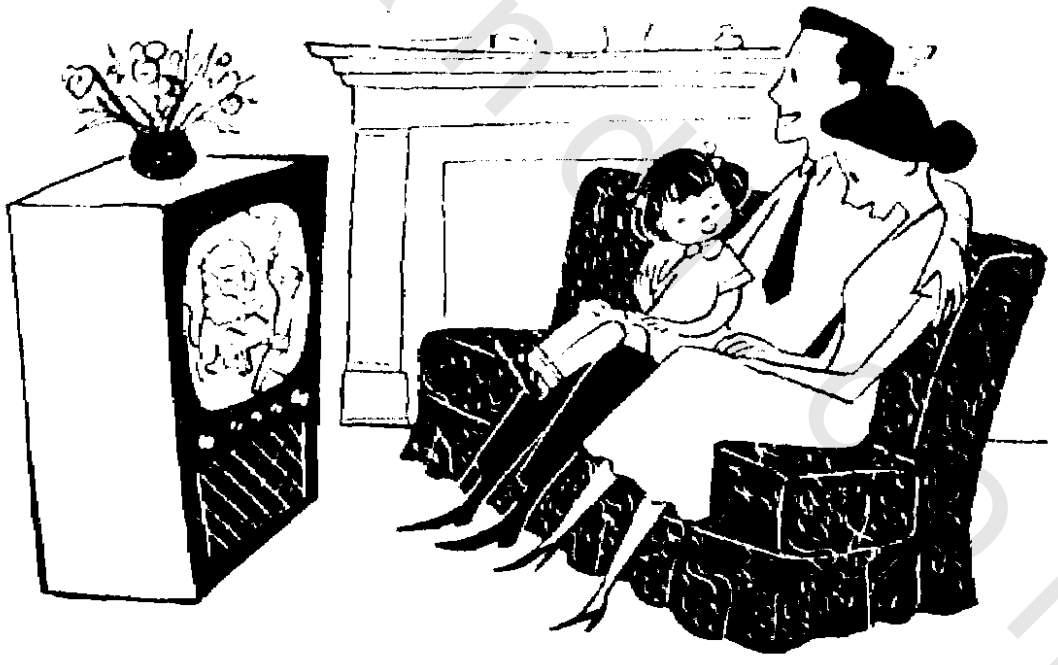

البيوت السعيدة الآمنة تنشىء أطفالا يستطيعون فيما بعد تكوين بيوت سعيدة آمنة

فالآباء اذ يحبون أبناءهم ويساعدونهم على الشعور بالأمن والانتماء ، ويعملون على سعادة أنفسهم فى حياتهم الزوجية ، فهم انما يزودون أبناءهم بتربية جنسية طيبة منذ مولدهم .

obeikandl.com